دار فضاء المعرفة للنشر الإلكتروني
MARAH IBRAHIM SALOUM

مشاعر لا تباح

رشا الحيالى

تصميم الغلاف: مها أيمن

تصميم الموك: سلمى سامى

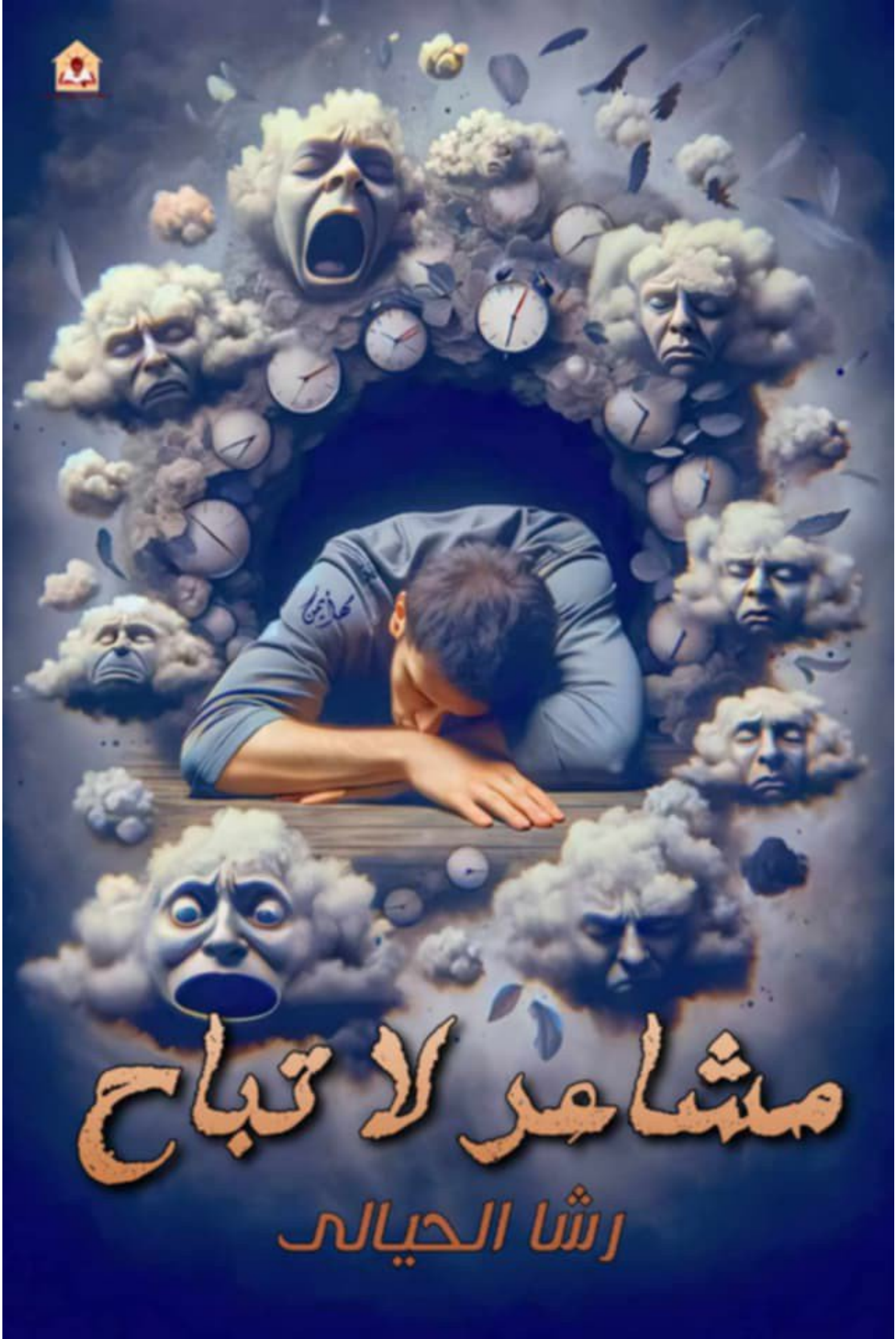
مشاهد لا تباح
رشا الحيالى

رواية :

مشاعر لا تُباح

للروائية رشا الحيالي

من إصدارات دار فضاء المعرفة للنشر

رواية :

مشاعر لا تُباح

للكاتبة :

رشا الحيالي

تصميم الغلاف :
مها أيمن

تنسيق داخلي :
أ. مرح إبراهيم سلوم

موك اب :

سلمى سامي

مديرة الدار :

أستاذة /مرح إبراهيم سلوم

_مع دار فضاء المعرفة للنشر الإلكتروني

حلمك يصبح على أرض الواقع.

المقدمة :

أيحدث لأنسان أن يحُب و يكره في أن واحد؟!
قبل عام تدعو من الله أن يجعل ذلك الشخص من نصيبك ،وبعد عام تدعو بنفس الحُرقة من ربك و لكن بأن يُبعد عنك ذلك الشخص و أن تُمحى كُل ذكرياته و أيامه و ابتساماته و كُل شيء يخصه نفسُ الدُعاء و الإحساس بالرجفة و لكن أولى هيام و الثانية خذلان ..

***

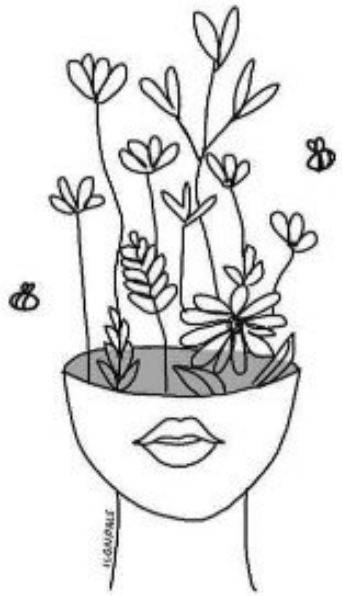

بدأت دُموعي تهطُل و تنسكب من عيناي مع كُل زخت مطر نازلٌ من السماء ..
مع بداية شهر أكتوبر البارِد،فعادت الأجواء الشتوية المُمطرة و الساقعة من جد و جديدة و الرعد يبرُق و يلمع،لملمتُ شُتات جسدي و حُطام خِذلاني أمام نافذتي التي تطلُ على الشارع رافعة يداي الاثنتين لربي العظيم و مولاي الكريم عارية و مُتجردة"من التكبُر وتمثيلي دور القوية البارِدة القاسية الكبيرة الواعية الحزينة التي لا تُقهر ولا تنكسر "مستورة الجسد و لكني وقفتُ عارية من تلك المُصطلحات و المفهومات الكُثر أدعي بحرقة قلب و أيمان من بعد هذا الصبر مُتيقنة هُنالك عوض جميل منه أن يستجيب لي كُل ما في خاطري و على لساني و أحقق كُل أحلامي و طُموحاتي و يُبعد عني كُل آذى و شر قد يُصيبني و أني بغنا عنهُ..!

شعوري الباطني أخذني للشُرفة آسير بلا وعي و بلا مُقاومة، رُبما كان المطر كمُنادي يُناديني لا أذكر ربي و أتقرب لهُ،و أطلب منهُ رُبما لعلها ليلة تحقيق المُعجزات، السماء مفتوحة ابوابها،مقبولة بِها كُل الامنيات و الدعوات ..!

أنتهت تلك الليلة الماطِرة كانت بارِدة جداً قد أبردت جميع المشاعِر الدافئة الدفينة من العام الماضي فكان قدوم شهر أكتوبر مُفاجئاً لدى الجميع قد جاءَ سابقاً لموعدهُ و أوانه هذه السنة ..

_أقول لكِ يا زوجة عمي(ميساء)ماذا جرى بليلة آمس ؟
هل ما سمعتهُ بصحيح أن عمي قد أفتعل حادثاً،فقد رأيتهُ يدخُل للمنزِل مُتأخراً كانت الساعة الثانية صباحاً و أنها ليست من عوائدهُ أن يعود متأخراً لأي سبباً و أن كان ..؟!
قلقتُ كثيراً عليه و رجيتُ من ربي الكريم و العظيم أن يحميه لنا كنتُ أطالعهُ من النافِذة وكان الوقت مُتأخراً فلم أرغب بأزعاجكما ..
_عزيزتي،أنتِ تكبُرين بعيني يوماً بعد يوم هل تعلمين بِهذا الشيء و أن لم تكوني تدركينه سأخبرك بهِ الآن و غداً و بعدُ غد و كُل يوم !

حبك و أهتمامك و حنيتُك و قلقُك هذا علينا أنا و عمك و كُل المشاعر من الإحترام و التقدير التي تقدمينها لنا لم يقدموها أولادُنا من صُلبنا حتى و لا من دمُنا ..!

_أنتم فعلاً عمي و زوجة عمي ولكن هذه مسميات مُسجلة على دفتر شجرة العائلة أنني أبنة أخ(مُهيمن) و أنا(جلنار) عمُها (مُهيمن) و لكن الذي يجمعني بكُم أكبر بكثير من هذه المُسميات و الأقاويل،علاقة روحانية و روحية ،علاقة ودية مبنية على الحُب و الإحترام أنتُما عائلتي الوحيدة لا أملك أحداً بهذه الدُنيا الكبيرة غيركُم من بعد موت أبي و هجران أمي لي و تركها لطفلة ذات الشهر الواحد من عُمرها ..!

يا زوجة عمي ليس كُل أم من حملت وولدت هي أم و نُطلق عليها (أم)الأم هي التي تُربي و تسهر و تتعب من أجل أطفالها ترعاهُم على حساب نفسها،"تُضحي تتنازل تنهان تُنتسى تحزن تميل تبكي تتألم تتوجع تُكافح تُجاهد تُعلم"و المزيد من هذه المُصطلحات تقدمها الأم من أجل أطفالها الصغار تقدم فوق طاقتها لكي تربيهُم و تراهم يكبرون أمام عيناها بدون أن تُنقص عليهم بشيء من عندهُم أطفال صِغار حتى يكبرون و يصبحون راشدين بالغين وواعين و صاحبين أولاد و أحفاد "الأولاد يبقون أطفال صغار بنظر والديهُم "..

_أدمعت عيناي من قولكِ هذا ربنا يعلم لم أحسبكِ غير بمقياس و معزت واحدة من بناتي (الأربعة)،يا رباه كم هذه الفتاة رزينة و واعية !
لا تقلقي عمُكِ لا يأبه شراً ،تعالي معي لغرفتهُ و اطمأني عنهُ وجهاً لوجه مُباشرتاً لأني أدرُك داخلكِ يتأكل مع بعض فلن تثقي بي كل عادة ما الجديد بالأمر و لن تُصدقي ما أخبركِ به أبداً ..
_زوجة عمي الغالية كِلانا يعلم بأن أحساسي لم يخيب يوماً و لا ظني بشيء قد أخطئ،هل تكذبيني و تقولي بأنكِ دائماً ما كُنتِ تُخفين عني عمي عندما يمرض أو يصبح معهُ شي سيء ..!
هي أجيبي ..
بضحكة غريبة و مُريبة قالت لي:
_تعالي معي للغُرفة و تأكدي بعيناكِ و ينتهي شكِ و ظنكِ الذي تزعُمين به لم يخيب يوماً و لكنهُ سيخيب اليوم ..

**

كانت غريبة الأطوار تبتسم و لا تُبالي أنا أتحدث عن عمي و على (عمي) زوجُها الذي أفتعل حادثاً و قد تأخر ليلاً عمي ذلك الرجُل المُسن الذي بلاه لا أعيش و لا لحظة أيُعقل فارق السن بينهُما قد أزال مشاعر الحُب من قلبها و بدأت تشعُر بالبرود تجاه بعضهُما بالعلاقة كأنهما الأب و الأبنة لكون الفرق بينهُما عشرون عاماً بالضبط..!

في عِز شرودي الدامس بخوالج نفسي و مكمونها الآف الأسئلة تُطرق و تعُد نادت لي قائلتاً :

_أين بالكِ ؟

فقط أمدي رأسكِ من فتحة الباب و أنظري من في الداخل ..

_تقربتُ من الباب و شعور غريب داهمني من المجهول الآتي..

_من هذا الذي بالداخل لم آراه جيداً كان مغطا بالكامل فقط تبادلنا نظرات من بعيد ولكني لم أميزهُما لم أعرفهُما لم أكتشف من صاحبهُما و لكني متيقنة أنهما غير مألوفتاً و لكن لا أتذكر أين،أمُتأكدة أنهُ عمي ..؟

_لا، و ألفُ لا،أنه من فقط أحزري و خمني ..

_رباه،قد ذُهلت من هو قد تشوقتُ لأعلم ..

_أفتحي أذناك معي جيداً،أنهُ المَشهور(سرمد) على مواقع التواصل الإجتماعي!لقد نام ليلة آمس بغرفة عمكِ و قضى ليلة بمنزلنا البسيط و القديم ،لا أصدقُ بِهذا ..

_بنطرات تعجب و أستفهام:أي مشهور أي(سرمد)تقصدين بكلامكِ ؟أختلط علي كُل شيء..

_كم (سرمد)في المدينة أنهُ(سرمد يعقوب)الذي ينشر مقاطع و أيضاً هاوياً للشعر و يُلقيه من منا لا يعرفهُ فتيات الحي مُعجبات مهوسات فيه لحد الجنون ..!

_نعم،سمعتُ به و لكنني لا أتابعهُ آراه تافهاً و محتواه لا يواكب تفكيري و عقليتي..

سؤال فقط؟هو ليس من نسبنا و لا قرابتنا و لا أعتقد بأنه صديق عمي لكونهُ بعمر أولاده كي يلتقيان و ينامان ببيوت بعض ..!

_أنتظري كي أقص لكِ ما حدث ليلة آمس بالتفصيل المُمل ،عمكِ عاد من عمله بذات وقتهُ المُعتاد و لكنهُ تأخر بسبب الإزدحامات و أيضا أمطرت بطريقه كان الظلام دامس و لوهلة كاد أن يدهس فتى شاب مرمي على الأرض استلحق الأمر مرتدياً نظارتهُ الطبية و قام بمساعدته على الفور و الحال ..

_من كان ذلك الشاب؟ماذا حدث لهُ هل عمي تورط بشيء..

_قفي بلا هذيان،عمكِ ليس به شيء،أنهُ (سرمد)ذلك الشاب الذي تحدثنا عنه دعيني أكمل بلا مُقاطعات ..

_أنهُ مُصاب بالسُكري كما قال لعمكِ،بحث عن عُلبة دوائهُ لم يجدها فخرج لأقرب صيدلية عليه ليقوم بشراء الدواء و هو عائداً ليركب بسيارته الفاخرة فتى على الدراجة الهوائية أرتطم به و سرق محفظتهُ و هرب و تركهُ مُستلقياً على الأرض فبدأ يرجُف من البرد و السُكري ينخفظ ويرتفع و يرتعش مع الزخات و البرد ..

و عمكِ الشجاع آتاه بالوقت المُناسب و الصعيب فقام بأعطائه دواءه و حملهُ معهُ إلى منزلنا ..

_لما يا زوجة عمي جعلتني أنظُر لهُ و أنا بهذا الوضع و المنظر المُزري بثياب غير مُلائمة ،أحزنني و أبكاني الموقف يا ويلاه و يا فشلتاه ..

_هههه،تستحقين،حتى مرةً آخرى تسمعي كلامي بدون مُجادلة و نِقاش ..

***

قلتُ لها بأني لا أعرفهُ و لا أتابعهُ رُبما مألوفاً و لكنني كنتُ بالخفية أسمعُ ما ينشُر على حسابِه و آراه جذاباً وسيماً..!
فلا أنسى تلك الليلة قبل عامين بذات الوقت و الشهر من أكتوبر كان يذكُرني بِه و أستطاع أن يجمعنا من جديد من بعد مُدة و غياب ليس بقليل ..
أدرُك أنه لا يذكُر ذلك اليوم فهو كان بالجامعة وقتذاك معروفاً على نطاق الجامعة بأكملها كان يلقي مُحاضرات و ندوات علمية و أدبية،و يُشارك بكُل الفعاليات التي تُقيمها و يقوي علاقتهُ بالأساتذة قبل أن يدخُل بمجال التواصل
الإجتماعي،كنتُ جالسة وحيدة أنتظر السائق لكي أعود للمنزل و هو آتاً من بعيد كُلما يتقرب أشعُر بالجو يتغير و قلبي يدُق،بدأت أوراق الخريف تتطاير بالجو و تسقُط و بدأت تُمطر و بدون كلام أو سلام آعطاني مظلتهُ الشمسية قائلاً لي تلك كلماتُه لا أنساها حرفاً و حرف ..!
:تفضلي آنستي ،سأعود لاحقاً لأخذها ..
تركني و رحل بدون ألتفات أو فتح مجال للكلام لأنه شاب جيد و صالح ساعدني بشيء بسيط و لكنهُ أثر بداخلي شيء كبير نحوهُ ..!

"في ذات هذهِ الأجواء الشتوية البارِدة،على الرغم من برودة الجو القارِص المُثلج و أصوات الرعد المُتعالية و المُخيفة .. فكان حُبك حينها يحرقني كاللهيب المُشتعل بكُل لحظة من لحظات هذا الجو المُرعد و المُمطر الجميل"

أيُعقل أنهُ هو فعلاً ؟

هل تذكرني،هل يتذكرني،هل سيتذكرني أم قد نسي ..

و هل سيسأل عني أم لم يسأل عني و من أنا ؟

الآف من الهل سيطرت على عقلي و أربكت كُل سُكوني ..

لا أقلق نفسي بهِ،أنهُ مُجرد دخيل على حياتي لا أكثر،غريب و سيبقى غريب ..

"لا تسألني،عن ماذا أفعل كي لا أقع بحبُك أكثر !

لالا،تسألني عن ماذا يجول في أيسر صدري،كي لا أهيمُ بك أكثر ..!

لا تسألني،فلست سوى عابراً غريب،مُتطفل دخيل!

دعني أكمل ما بقي مني بدونك بعيداً عنك،الملم ضياعي و أرتب سُلم حياتي و دفتر أشخاصي من جديد..
لا تسألني فلا تسألني،فبقربك لا أحيا وبقربك لا أموت
فلست سوى عابر غريب،مُتطفل دخيل
عيناك ماكرتان لا تؤتمن لا أرى بهُما سوى خيانتي و الغدر بي وكل أنواع التعذيب!
ما عُدت تأمن علي منك،لاتعود بالسؤال،لاتسألني من جديد "
اليوم سيعود إلى مكانه الأصلي حيثما موطنهُ البعيد عني و عن أحلامي و مملكة قلبي،كفاية تفكير و تدهور حال فأنه لم يأبه لأمري و لن يسأل عني ..
_ميساء:ما بكِ(جلنار) أين سرحتي بتفكيرك ؟
ماذا جرى،هيا الحقي بي للصالة لإكمال وجبة الغداء و أهمُ شيء أطعام حضرت السيد (سرمد) فهو ضيف مُعزز و مُكرم في منزلنا المُتواضع، أيُعقل لم نقدم لهُ وجبة ملوكية تلوق لهُ و بمكانته ..

_جلنار: حضرت السيد و ملوكية أيضاً !
لما تُشعرينني بأن سيادة رئيس الجمهورية آتى عندنا شخصياً زيارة، هو في الآخر من؟
(سرمد) النكرة المُجرد من (آل)التعريف أيضاً..
إنسان حالهُ من حالنا،لما تُعطيه أكبر من حجمهُ و قيمتهُ،لا تنسي فضل عمي(مُهيمن) عند قام بأنقاذه في اللحظات الأخيرة عندما كان ملقياً بحوافي السواقي و الشوارع الفارِغة، فلن ينسى هذا الموقف و فضلهُ طوال حياتهُ كُلها لحد الممات ..!
_ميساء:بدون عقلانية رجاءً ..
_جلنار:حاضر،حاضر(ميسائوووو)
***

دخلتُ للمطبخ عندما نادت لي زوجةُ عمي (ميساء)و الاحظ بوجود بنات عمي الأربعة (بسمة،براء،مرح،رشا) عجولات و قد أوسخن المطبخ بالكامل،لكُل أسماً فيهم معنى و هُنالك مقولة تقول:لكُل شخصاً من أسمهِ نصيب،فليأخذ منهُ قدرهُ و حياتهُ..

إذا دل على الشَجن عاشَ حياتهُ بحزن،و أذ دل على فرح عاش بسعادة وأيضاً عن الخجل و الحياء و العزة و التكبر ..!

اسمائهُم كُلها أطلقها عمي و أسماها لهُم بنية أن تأخذ أقدارهم من اسمائهم ..

الأولى هي البنتُ الكُبرى لهُ(بسمة)عندما ولدت جاءت مُبتسمة،فقال أسمُها جاء معها في تبسمها ..!

الثانية هي البنتُ الوسطانية لهُ(براء)رأى بها براءة و خجل أراد أن يرفع رأسهُ بها مفتخراً مُتباهياً من شدة وقارها و أخلاقها و تربيتها الخلوقة و الحسنة ..

أما الثالثة هي (مرح) وهي فعلاً فرحةُ المنزِل و صديقة الجميع،مرحة و قلبها رقيق حساسة ،حسنة المنظر و الخُلق ..!

هي أقربُ لي من بينهم،تدعمني و تشجعُني بكُل أوقاتي و حالاتي هي أختي فعلاً من قلب و قالب و ليست بالأسم أبنة عم فقط !

كانت رُكني الأمن،و حُضني الدافئ،و ملجأي الوحيد و خياري الأول من بين زحمة الناس و كثرتهُم ..!

فأنا لا أميلُ للكثرة المُزدحمة و الصخب،أنا بشر يميل للقلة و الهدوء ..

مُعتزلة ما يؤذيني و ما يُحبني !

فالمكتوب على الجبين معروف و لا يتغير،و أنا حظي واضح كوضوح الشمس وحيدة بهذه الحياة الكبيرة..

يتيمة فقيدة الأم و الأب، و مكسورة القلب و الخاطر

أما البنتُ الرابعة و الأخيرة الغنية عن التعريف هي (رشا) رأى عمي بها جمالاً و رقة و هدوء مُميز مُختلف عن كُل بناته السابقات، فأسماها برشا تدلُ عن الغزال،علاقتي بها غريبة لا أعلم كيف أفسرُها و أفصحُ عنها!

دائماً مقولتها مطبوعة بوسط دماغي لا أنساها "أقترب للحيوان ميل و أبتعد عن الإنسان آلف ميل و أيضاً سيعضُك"

هي فتاة شفافة أكثر من الحد،مهوسة قراءة و كُتب مُبتعدة عن الكون أجمع و ما فيه !

كرست حياتها بغرفُتها على ضوء الشموع تكتب عباراتها التي تطلُ نافذتُها على الخارج و الحديقة تغلقها لكي لا تنشغل عن صب ما يدور بعقلها و خوالجها الدفينة فهي أعتزلت البشر و الكلام !
فكان كلامُها القليل عبارة عن روائع شعرية و أقتباسات أدبية تخرُج من شفاهها تسحُر الذي يشعُر و الذي لا يشعُر،اؤمن بقدرتها و موهبتها و أدرُك ستصبح في يوماً ما من كبار الشُعراء و الروائيين المُحترفين ..!
جميعهُم مُختلفات من حيث الشكل و من حيث الصفات و السمات رُغم كونهم يقطنون منزِل وتحت سقف واحد
_(بسمة): أنتِ،بمن تُفكرين ؟
هيا ساعدينا هل يجب أن نرجو منك و نتوسل،الا ترين أننا بحالة مُستعجلة سبحان الله لم أحبُك منذُ الصغر و الطفولة و لم أرغب بكِ بيننا أنت دخيلة على عائلتنا،أنتِ كائن مُتطفل ما هذا الا توجد لديكِ و لو بذرة كرامة و حس ،"حسي يا بشر و فرجيها علينا فكي عمج التعبان من همج و مسؤليتج " تزوجي أول من يدُق بابكِ مُطلق،أرمل أو حتى عجوز مُسن ،أبتعدي عنا دائماً أعيدُها عليكِ لكنكِ لا تفهمين..!

_جلنار:عمي و زوجته يرغبان بوجودي فمن انتِ حتى أترُك عائلتي التي تحبني و تخاف علي ،من أنتِ؟؟
أنا هُنا باقية و أتمدد رُغما على أنف من يرضا و من لم يرضا !

***

تركتُها و رحلت إلى غُرفتي المُعتمة أبكي مع حالي مُتلفلفة حول جسدي البارِد و الدُموع تنهمل مني بدون توقف كشلال بللت كُل ثيابي،أيُعقل أن أعيش اسوء من هذا الموقف و يأتيني الأتعس،وقفتُ أمامها صامدة صارمة قوية أتكلم و لايهزني الهزير و بداخلي جبل أنهدم من العِز و الشُموخ ،رباه عبدتُك تعبت و أعلنت أستسلامها تاركتاً أمري و أمنياتي لك ..
صوت دعسات أقدام تتقدم و دقُ باب،من وراء الباب ..؟
_مرح:(جلنار) أنا (مرح) حبيبتُك و أختُك و كُل شيء لكِ هل نسيتني ؟هي أفتحي لي الباب ..

***

قمتُ من مكاني و أمسحت دموعي بكم فُستاني الرمادي كأحلامي المجهولة و أحزاني،لكي لا تنتبه لدموعي فلا أرغب بأن تعلم ما جرى لا يهون علي أن تزعل على وضعي و تغضب على أختها(بسمة) و يحدُث شجار ما بين الاخوات بسببي ففي الأخير فعلاً من أنا ؟
_مرح:لما تبكين؟

أنا الم أقُل لكِ و لا دمعة تسيل من عيناكِ الجميلة،لا أقبل و لن أقبل أبداً،أنها(بسمة)البلهاء اليس كذلك فليس غيرها أكيد ستبكي عزيرتي (جلنار) ..

أوقفتُها في اللحظة المناسبة ماسكتاً يدها:

(مرح)توقفي،لا أريد أن تفتعلي معها المشاكل مُجدداً بسببي كفاكِ و كفايا ايضاً أعتقد الخلل مني ..

_مرح:بلا أوهام و تخيلات من عقلكِ،أنها تغار منكِ لتقربكِ من أمنا و أبانا و من جمالكِ و من كُل شيء بك الا ترين تقليدها العمياني لكِ من ناحية الكلام و الستايل و التصرُفات !

تُحاول أن تُصبح نسختك المُكررة،و لكن الأصلي سيبقى الأصل رُغم جودت التقليد المغشوش ..

_جلنار:لا أعلم ما سبب عداوتها معي و كُرهها الشديد تجاهي و أني أعزها و أحبُها ..

_مرح:فلتذهب للجحيم،دعينا منها فقد قززت من موضوعها،هي تعالي والدُنا يدعونا لنتناول وجبة الغداء مع الضيف(سرمد)و يعرفُنا عليه و بدون أعذار فلن يقبل تغيبك و عدم مجيئكِ ..

***

بمحاولات شديدة للرفض معها و لكنها لم تقتنع بكلامي أخذتني معها بالجبر تظنُ بأنني لن أرغب بجلوسي معهُم بسبب(بسمة) أو شعوري بالتطفل عليهم،السبب الرئيسي و الحقيقة" بلا " السبب هو (سرمد) كيف سأظهر أمامه على طاولة واحدة و نتعرف كأننا لم نعرف بعضنا من قبل و هل سيسألني عن مظلتهُ و ماذا سأجاوب ؟

بأنها بالحفظ و الصون مكانُها بوسط قلبي ..!
عندما تقربتُ للطاولة بدأ قلبي يهتز و يميل أشعر بأنهُ تحرك من مكانه و يتقلب للجوانب و الزوايا الأخرى الوضع كان هُدوء و بوهلتها أجمعهم بقيوا يتمعنون النظر بي بدون أنقطاع أو ملل !
أما عن (سرمد)بقيت الشوكة بيده و الصحن باليد الثانية مُتعجب مُتصفن مُنذهل،لا أعلمُ سر هذه النظرات ؟
_العم(مُهيمن):يا أهلا بولدنا العزيز(سرمد) الآن أنت منا و فينا جزء من عائلتنا الصغيرة و البسيطة لقد أكلت من طعامنا و نمت ببيتنا،أنت ولدي الذي لم يولد ..!
_سرمد:هذا فخر لي و أعتز به ..!
كلكُم أهلي و ناسي من هذا اليوم ..
_العم (مُهيمن):بُني،أريد أن أقول لك شيء و لكني أخجل و لا أعلم ما هي ردة فعلك حيال الأمر ؟
_سرمد:تحدث و لا تبقي شيء بداخلك،كلي أذاناً صاغية أسمعك ..
_أصبحت قريباً علي و الله و تالله لا أشعُر تجاهك سوى بمشاعر "ابن" رُغم تعرفنا ليلة آمس بالكاد و أبن الأصول منذ دقيقتُها يُبان،و نحنُ ناس مُحافظين و أنا شيخ جامع و لدي فقط بنات و الجيران رأوك ليلة آمس معي بوقت مُتأخر ليلاً ماذا ستتكلم الناس ستصبح سيرتُنا على كُل لسان من لا يخاف الله ،و أيضاً أراك كصهر لي متباهياً به و أتمنه على بنتي ..

أنا أعرض آحدى من بناتي
الخمس(بسمة،براء،مرح،رشا،جلنار)لقد جمعتكُم على طاولة واحدة و عرفتكُم حتى تختار براحتك و لا تخجل أي واحدة مُقتنع بها ؟

***

هُنا أغمي علي من الموقف،ماذا يقول عمي؟
هل جُن يا ويلاه ماذا و ماذاا،عجز لساني عن التحدُث،توقف (سرمد)عن التحدُث و بقي يوزع نظرات استطلاع و بعدها بقي ينظر لي بدون أن يُزيح عيونه و لم ترمُش !
يا تُرى من سيختار؟هل من المعقول "أنا"

_سرمد:حسناً يا عمي العزيز،أنا لم أرفض الأمر على العكس لي الشرف بأن أخذ واحدة من بناتك و لن أندم على هذا القرار،سأختار من بينكمُ واحدة و أتمنى عدم المُقارنة و الزعل فأنهُ بالأخير كُل شيء قسمة و نصيب كلكُم جميلات و مُثقفات فلم يصح لي الوقت الكافي لتمعن بكُل واحدة على حِدى،على وفق الحال و تحت أمر سأختار التي رأيتُها أولاً ليلة آمس لكي أكون أكثر عقلانية كانت ترتدي فُستاناً زهري مليء بالفراشات و نقشات الورود ..!

***

و من بعدها أشار بأصبعه نحوي ناسيا أسمي و مُتناسياً لقائنا الأول أنهُ ليس ليلة آمس و أنما منذُ سنتين و بالآحرى "2019/11/2"

هذا التاريخ لم أنساه و لن أمحوه فكان يمُر علي بكُل عام مليء بالذكريات و المظلة المضمومة بدرج سري بعيد عن العين،هو أظنُ أعجب بي للمرة الثانية و لم يذكُر فأخذها حجة من رأها أولاً مُمثلاً دور العقلانية ..

_العم (مُهيمن):أتقصُد(جلنار) ؟

_سرمد:نعم ..

***

تحولت الأنظار كُلها لي و سألني عمي عن قراري و جوابي،و كانت ضحكة الأنتصار و الثقة و الغرور تشُع من عيناه يظن أنهُ عُملة نادرِة و لن ترفضه أي فتاة لكونهُ غني ذو مال و جاه و مشهور ووسيم ..!

و لكني أختلف عن كُل من تعرف عليهم سابقاً، و لن أنسى شُعور الخذلان الذي جعلني أعيش به لسنين بسبب موقف لعب بمشاعري،أعتقد حان دوري باللعبة و أنقلب السحر على الساحر..

"راح اخليك تتحسر وكلبك يتلوع،تدور عليه بكل شارع و مرسى و تتلفت ما تلكاني مرات تبحث ما بين ذاتك و نفسك ولن تجدني ايضاً تدورني بكل شي و بالأخير ما تلكاتي،أحرم عليك حتى رؤيتي بالأحلام ..

سأبترُ قلبك من كُل الجهات و الزواية و انتزعهُ ما بين أضلاعك و أجعلهُ لُعبة ما بين يداي لكي اعلمك ما هو الألم الذي وضعته بايسر صدري ..

نعم اتحسر و اندم و انذل و اتوسل بعد اكثر،منظرك هذا يخليني اشمئز ما احن و لاارد و لااشتاق فلستُ انا من اخسر ضعها حلق في اذنك ايها الذكر الوغد اللعين .."

_أرفض،لا أوافق ..

عمي أنصدم من كلامي،و ضحكتهُ تحولت لعبوس و أستفهامات تتطاير من وجهه لا يعلم ما السبب لكي يتم رفضُه ..

_العم(مُهيمن):حسناً أبنتي،لا يُمكنني أجبارك على شيء فهذه حياتكِ الخاصة فتعرفين مصلحتكِ أين و مع من،فنحنُ على أمر الواقع أنا من سيختار لك البنت الكُبرى(بسمة)هل موافقة ؟

_(بسمة)بلهفة:نعم أوافق،أقبل هل تظنني معتوها كي أرفض رجُل مثلهُ ؟

***

رباه لم أدرُك أنهُ سيوافق على أبنة عمي(بسمة)عدوتي اللدودة كنت سأظن سينتهي الأمر برفضي و عمي بقي مُستمر بقراره بتزوجيه من آحدانا،كيف استطاعت أن توافق بلا خجل و حياء من رجُل خطب أبنة عمها كيف تقبلها أن تكون الثانية و البديلة ؟؟
فعلاً مقولة (رشا) "الطعنة لا تأتي من بعيد تفقد القريب الذي جنبك فسيكون هو قاتلك و ليس مُنقذك ..!"
هنيئاً لهُ بها و هنيئاً لها به،أتفق أنني خسرتُ حُبي الأول و قلبي و زادت مواجعي و لكنني ربحتُ كرامتي فأنا شامخة سأبقى مرفوعة الراس و لا أنزله لأي مخلوق ..
مسحت آخر دمعة نزلت من عيني مُعلنة أنسحابي و الفوز،فقد بدلت الأدوار و فزتُ أنا بالشوط الأخير ..!

***

مرت أسابيع و أنتهى شهر أكتوبر الطويل مُحطماً أمالي و و حان الوقت الموعود و قرب يوم الزفاف بسمة من سرمد،سأحضرهُ و قلبي ينزُف و عيناي تبكي سأرقص على أوجاعي و أفرح بحزني كأنما قلبي لم يمت اليوم مُعلنة أنسحابي و أبتعادي،فهو سيصبح زوج أختي فلا يسمحُ لي بالتفكير به بعد الآن،أنتهت قصتنا و تلك الليلة المُمطرة وأنتهى معهُ أنتظاري المُتكرر لاجواء الشتاء فلا حاجة لي للمظلة أنتهى و أنتهينا قبل أن نبدأ ..

(بسمة) بدت جميلة جداً و رقيقة بالبدلة البيضاء كأنها فراشة مُلونة تزهو بكُل ارجاء القاعة،بيني و ما بين نفسي أقول أنا من يجب أن تكون في مكانها ..

عمَ المكان بالحضور و امتلئ، أتت شخصيات كبار و معارف كُثر وحتى بعض من المشاهير اصدقاء (سرمد)

سأقدم الأمانة التي بحوزتي فلا معنى لها ببقائها معي سأعيدها لهُ و ارحل فوراً ..

_جلنار:(سرمد)توقف من فضلك ..

_سرمد:نعم ،تفضلي ..

_جلنار:أولاً مُبارك لكُما،أعتذر عن حديثي لوحدنا ولكني جئتُ أردُ الأمانة التي بحوزتي من سنين لصاحبها بعدما وجد،تفضل أنها مظلتُك ..

_سرمد: ما هذه ؟

_جلنار:ماذا تقصد بذلك؟

أنها مظلتُك الا تذكُر،قُم بفتحها و سترى أسمك منقوش بالزاوية اليُسرى ..!

_سرمد:نعم تذكرت،كُنت أبحث عنها لمدة وجيزة لفترةً طويلة و اتسائل أين أضعتها و أختفت مني،لكونها هدية من أمي و جداً أعتز بها،ما الذي جاء بها بين يديكِ ؟

_جلنار:لما تسأل ؟

أنهُ أنت من قام بأعطائي أياها،بنفس هذه الأوقات و الأجواء بيوم ماطر ،و قد وعدتني ستعود لأخذها مني مُجدداً و لكنك خُنت الوعد و لم تكن عند كلمتك،و الآن سأرحل لا أقدر الوقوف معك لوحدنا أكثر أخاف أن يرانا أحد و يُساء فهمُنا ..

_سرمد:قفي ،أتوسل اليكِ لا ترحلي الآن،لقد تذكرتكِ و تذكرت ذلك اليوم،أنا أصاب أحياناً بنوبات عدم التركير والإنتباه بسبب مرض السُكري منذُ طفولتي يؤثر على جزء من عقلي و تمحى بعضاً من ذكرياتي و الأشخاص و المواقف،و كُلما أراكِ مُتحدثاً مع نفسي و أقول من أنتِ فوجهكِ كان مؤلوفاً لي خانني المرض و نال مني و أنساني من تكونين آسف جداً ..!

_جلنار:فات الاوان و الوقت تعدا،أنت الآن عريس يتهيأ لزفافه من ابنة عمي بمكانة أختي ،لا يسعُني غير تقديم المُباركات و السعادة لكُما ،إلى اللقاء ..

_سرمد:دمرتني و دمرتي نفسكِ لما؟؟؟

لما فعلتي هذا بنا،ثلاثة أشخاص تأذوا أنا و أنتِ و بسمة سنعيش بدوامة و متاهه لا تنتهي ..

لما ذكرتني بكِ الآن، و لما جعلتني أتذكرك كُنتِ تتركيني ناسيكِ و فاقداً ذلك اليوم و أنتِ ..

أمسكِ بيدي دعينا نهرُب بعيد جداً عن هُنا و من الجميع،لدينا وقت لم يفت الاوان بعد ..

_جلنار:لستُ أنا من أفعلها،أنا سأبقى مرفوعة الرأس و لن أغدر بالشخص الذي رباني و تعب علي و رعاني و من بعدها أطعنهُ بصدره و أجعل بحياتة بصمة عار و بسمة سيكسر قلبها أنت على مشارف بدأ العرس و الحضور داخل القاعة ينتظرون مجيئك،فلا لن أفعلها نحنُ أنتهينا فلا أنت أنا و لا أنا أنت،كلانا يرحل بطريقه و يُكمل المشوار لوحده بعيداً عن الأخر ..

_سرمد:شكراً لكِ على كسر قلبي !

علمتني درساً سيبقى جرحه طول عمري و لن يطيب ابداً،لما كابرتي و تعاليتي في وقتها لرُبما كُنا اليوم نحتفل بأكمال حُبنا،لا أدرك لما عاقبتني على شيء لا ذنب لي به و لا يد ،أنا مريض و لا علي حرج،أذهبي و لكن سيبقى قلبي و عقلي معك و هذه المرة لن أنساكِ أبداً سأكتبُ أسمكِ وشماً على صدري و لا يهُمني أحداً ..!

***

تركتهُ بدون التفات أو جدال هو بليلة زفافه و عروسته تنتظره و هو يألف و يحيك القصص الرومانسية الحزينة لا أعلم فعلاً ما قالهُ صحيح و حقيقي أم كذب و أن كان...

فهو لا يعنيني من الآن و صاعداً ..
أنتهى ذلك اليوم وبعد فترة أنتقل سرمد و معهُ بسمة إلى مدينة أخرى مُخترع عذراً لأنشغاله بعمله هُناك رحل بعيداً عني و عن ذكرياتي و أي شي يخصُني فكره مدينة "الموصل" و شوارعها لكوني بها،أختنق و تألم و بكي و أحياناً تعصب و أنهار و أتخذ قراره للفرار مني أراد نسياني و شلع حُبي من أطرافه للأجزاء فكان يعود خائباً في كُل مرةً و مرة عندما يلمح ببسمة لمحاتً مني ..
أحياناً ندفع سوء أختيارنا ثمن سعادتنا،أتفق أن الحُب جميل و لكن لا شيء يعلو على الكرامة..
أي شخص يدخُل حياتنا يخرجها بكل سهولة فنحنُ من نُعطيهم هذا المقدار و العمق و التعظيم سننسى و تُنسى و لكن الأثر و الذكريات ستبقى عالقة إلى الأبد بركن سري خفي لا يُباح

الخاتمة :

الكلام الذي لا يُقال يُشعر و يُغنى و يُقرأ فلا يُمكن الأفصاح عنهُ لأي مخلوق كان،أحياناً عيوننا تتكلم ووجهُنا يُعبر فيقف اللسان ساكناً ساكتاً غيرَ ناطق بحرف ..

رشا الحيالي

مشاعر لا تُباح

رشا الحيالي